

## ◆ مقتضيات المحبة الصادقة ◆

### المقتضى الأول: البراءة من الشرك:

إذا كنت صادقاً في دعواك محبة النبي ﷺ، فلا بد أن تنقي قلبك من كل شائبة من شوائب الشرك، قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «النفى المحض ليس توحيداً، وكذلك الإثبات بدون النفي .. فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات معاً».

قال العلماء: لا بد من التخلية قبل التحلية .. والتخلية هي أن تكفر بالأنداد والأرباب والآلهة والطواغيت.

نقّب في قلبك؛ هل خليسته من هذا، هل تبرأت من الأنداد والآلهة والطواغيت وأخلصت القلب لله وحده لا شريك له.

والطواغيت - جمع طاغوت -، والطاغوت كما قال عمر: «هو الشيطان». وكما قال مالك: «هو كل ما عبّد من دون الله». وكما قال ابن القيم: «هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع».

فأنت مأمور أيها المحب أن تكفر بكل الطواغيت على ظهر هذه الأرض، قال تعالى: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (البقرة: ٢٥٦)، لاحظ أن الله قد قدم الكفر بالطواغوت على الإيمان بالله، إذ لا بد من التخلية قبل التحلية .. وأنت مأمور بالكفر بالأنداد، قال تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» (البقرة: ١٦٥).

ومع هذا تجد كثيراً من الناس - ولا حول ولا قوة إلا بالله - قد امتلأت قلوبهم بحمجة الأنداد من دون الله أو مع الله، ألم تسمع عن امرأة قد تخلصت من حياتها وانتحرت بسبب موت العنديل الأسود .. ألم تسمع عن رجل جلس في استادٍ للكرة فصرخ صرخة فقد فيها روحه؛ لأن فريقه قد مُنيَ بهدف من الفريق الآخر.

### ألم تسمع قول القائل:

هيبوني عيداً يجعل العرب أمة ♦♦ وسيروا بجثمانى على دين برهم  
سلام على كفر يوحّد بيننا ♦♦ وأهلاً وسهلاً بعدهم بجهنم

### ألم تسمع قول القائل:

آمنت بحزب البعث رباً لا شريك له ♦♦ وبالعروبة ديناً ما له ثانٍ

ألم تسمع قول القائل: إن مصر ستظل فرعونية ولو وقف الإسلام حجر عثرة في طريق فرعونيتنا لنحينا الإسلام جانباً لتظل مصر فرعونية.  
ألم تسمع، وتسمع، وتسمع - ولا حول ولا قوة إلا بالله - .

قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت يا رسول الله، قال ﷺ: «جعلتني لله نداً، ما شاء الله وحده»<sup>(١)</sup>.

دخل عدي بن حاتم على النبي ﷺ وهو يقرأ قول الله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١)، قال عدي: لا يا رسول الله، ما عبدناهم من دون الله، ففسر له النبي ﷺ الآية فقال ﷺ: «ألم يحلوا لهم ما حرم

(١) أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٧)، وابن ماجه (٢١١٧)، وأحمد في «مسنده» (٢١٤/١)، وحسنه الألباني في «الصحيحه» (١٣٩).

الله ويحرمون عليهم ما احل الله فاطاعوهم<sup>٥</sup>، قال: بلى، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فتلك عبادتهم إياهم»<sup>(١)</sup>.

وهذا فهم الكثير من الناس، يظن أن العبادة مقصورة على الركوع والسجود فحسب، بل العبادة لها معنى أعم وأشمل من ذلك، فالعبادة بمفهومها الصحيح: هي كل ما يحبه الله ويرضاه، ولاشك أن ما يحبه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو من جملة ما يحبه الله - عَزَّ وَجَلَّ -، فإنك إذا تركت أي أمرٍ يحبه الله أو يحبه رسوله لقول أحد من الناس مهما كان، فتكون بذلك قد صرفت له العبادة من دون الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٦) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

### المقتضى الثاني: تحقيق التوحيد للعزیز الحمید:

فإذا كنت صادقاً في محبتك للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعليك أن تحقق التوحيد بأقسامه لله - جلَّ وعلا -، عليك بتحقيق: توحيد الربوبية؛ ومعناه أن تقر بالخلق والرزق والأمر والتصريف والتدبير والإحياء والإماتة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (ال عمران: ١٥٤)، وهذا النوع من التوحيد لا يستطيع إنكاره أحد، بل قد أقر به مشركوا الجزيرة العربية، فإذا سألت أبا جهل: من خالقك؟ قال: الله. لو سألت المشرك: من رزقك؟ قال: الله. قال - جلَّ وعلا -: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (المنكوت: ٦١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (المنكوت: ٦٣)، وقال سبحانه: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٤)، وابن جرير الطبري (١٦٦٣٢).

وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿الزخرف: ٩﴾.

بل لقد انفرد الأحنس بن شريق بأبي جهل، فقال الأحنس: يا أبا الحكم، لا يوجد معنا أحد الآن يسمعا، أستحلفك بالله، أم محمد صادق أم كاذب؟، فقال أبو جهل: «ويحك يا أحنس، والله إن محمداً لصادق». فنزل قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الانعام: ٣٣). بل قال قائلهم: إني لأقر لمحمد بالنبوة أكثر مما أقر لابني بالنبوة. وللأسف الشديد مع إقرار المشركين بهذا النوع من التوحيد نجد بعضاً ممن يتسبون للإسلام عندما يقع في ضائقة يجزع ويتبرم ويضيق صدره، وهذا خرق في توحيد الربوبية.

- ♦♦♦ يا صاحب الهم إن الهم منفرج إيشيربخير فإن المفرج الله
- ♦♦♦ وإذا بلّيت فثق بالله وارض به إن الذي يكشف البلوى هو الله
- ♦♦♦ الله الذي يحدث بعد العسر ميسرة لا تجزعن فإن الخالق الله
- ♦♦♦ والله مالك غير الله من أحد فحسبك الله في كل لك الله

• وبعد إقرارك بتوحيد الربوبية عليك بتحقيق توحيد الألوهية؛ يعني أن تصرف العبادة بركنيها من كمال الحب وكمال الذل وبشرطها من الإخلاص والإتباع إلى من يستحق العبادة، وهو الله - سبحانه وتعالى -، والتوجه إله بكل الأفعال الظاهرة والباطنة، وعدم صرف أي عبادة من العبادات لغير الله، سواء كان ملكاً أو رسولاً أو ولياً، فضلاً عما دون ذلك من الأحجار والأشجار والقبور، حتى ولو على سبيل التوسل.

ومن ذلك الدعاء والاستغاثة وطلب المدد من الأموات والغائبين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ لَئِيَسْتَجِيبَ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (الاحقاف: ٥-٦)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ

(١٦٦) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ ﴿  
 (يونس: ١٠٦-١٠٧)، وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ (الكوثر: ٢)، وقال ﷺ: «لعن  
 الله من ذبح لغير الله»<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك النذر للقبور والصالحين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ  
 مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (البقرة: ٢٧٠)، ومن ذلك نسبة علم مفاتيح  
 الغيب إلى الأنبياء أو الأولياء أو الكهان أو العرافين أو المنجمين، واعتقاد أنهم  
 يصرِّفون الكون، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الانعام: ٥٩)،  
 وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ  
 مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤).

وهذا شرك في الألوهية، وإذا أضاف إليه اللجوء إليهم ودعائهم ليضروا أو  
 ينفعوا فقد زاد فيه شرك الربوبية، كمن يأتي السحرة والكهان ليسحروا له ويخبروه  
 عن مستقبله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ  
 وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ  
 فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذَنُ  
 اللَّهُ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ (البقرة: ١٠٢).

وسبب البلاء: هو الغلو في الصالحين، وبناء المشاهد والقباب والمساجد علي  
 قبورهم، والتمسح بها والطواف حولها، وقد سد النبي ﷺ هذا الباب بقوله:  
 «إلا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٢) مسلم (٥٣٢).

وقال عليه السلام : «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد،<sup>(١)</sup> يحذر مما صنعوا، وأمر بهدم كل قبر مشرف (مرتفع)، فالمسلم الحريص على توحيد الله تعالى يتجنب الصلاة في المساجد التي بُنيت على القبور، سداً لدرية الشرك، وكذلك يحرص على عدم إتيان الأمور التي تؤدي إلى الشرك؛ كتعليق الخيوط - والحلق - وحدوة الحصان - والحرز والودع - والتائم - والأحجة على أنها سبب لدفع العين والحسد والشر.

قال عليه السلام : «ومن تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له،<sup>(٢)</sup>

وقال عليه السلام : «من تعلق تميمة فقد أشرك،<sup>(٣)</sup>

• ومن ذلك التطير (التشاؤم والتفائل بالطيور وغيرها). قال عليه السلام

«الطيرة شرك»<sup>(٤)</sup>.

• ومنه التوسل البدعي، بأن يقول للميت: «ادع الله لي»، «استغفر لي»،

أما لو قال له: «أغثنى» أو «اغفر لي» فهو شرك أكبر، وهو توسل شركي أما طلب الدعاء من الصالحين الأحياء فإنه يجوز، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه للنبي صلوات الله عليه: «ادع الله لأم أبو هريرة»<sup>(٥)</sup>، وقول خباب بن الأرت للنبي صلوات الله عليه: «ادع الله لنا»<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه أحمد (٢٠٤/٥)، والطيالسي (١١٣/٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٤/٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٦/٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤).

(٥) مسلم (٢٤٩١).

(٦) البخاري (٣٨٥٢).

## المقتضى الثالث : الولاة والبراء :

أخي الحبيب، بعدما خلصت نفسك من شوائب الشرك، وقمت بتوحيد الألوهية، عليك بعد ذلك بالولاء للمؤمنين، والبراءة من المشركين، فمن أصول هذه العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الشرك ويعاديهم، وذلك من ملة إبراهيم والذين معه . قال تعالى : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (المتحة: ٤) .

وهو من دين نبينا محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١)، وهذه في تحريم موالاة أهل الكتاب خصوصا، وقال تعالى في تحريم موالاة الكفار عموما : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (المتحة: ١)، بل لقد حرم الله على المؤمنين موالاة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إليهم نسباً، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (التوبة: ٢٣) وقال تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢) .

وكما أن الله سبحانه حرم موالاة الكفار أعداء العقيدة الإسلامية فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبتهم، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا

فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿المائدة: ٥٥-٥٦﴾، وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠).

فالمؤمنون إخوة في الدين والعقيدة، وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠)، فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم إخوة متحابون يقتدي آخرهم بأولهم ويدعو بعضهم لبعض ويستغفر بعضهم لبعض.

وبعد أخي الحبيب، عليك أن تعي جيداً أنه لا يكون التوحيد إلا بالولاء والبراء، لا يصح اعتقادك إلا بالولاء والبراء؛ أن توالي الله ورسوله والمؤمنين وأن تبرأ من الشرك والمشركين.

- ♦♦♦ أحب أعداء الحبيب وتدعي حبا له ما ذاك في الإمكان
- ♦♦♦ وكذا تعادي جاهداً أحبابه أين المحبة يا أخى الشيطان
- ♦♦♦ إن المحبة أن توافق من تحب على محبته بلا نقصان
- ♦♦♦ فإن ادعيت له المحبة مع خلافك ما يحب فأنت ذو بهتان
- ♦♦♦ نعم لو صدقت الله فيما زعمته لعاديت من بالله ويحك يكفر
- ♦♦♦ وواليت أهل الحق سراً وجهرة ولما تعاديتهم وللكفر تنصر
- ♦♦♦ فلا كل من قد قال ما قلت مسلم ولكن بأشراط هنالك تذكر
- ♦♦♦ مباينة الكفار في كل موطن بدأ جاءنا النص الصحيح المقرر
- ♦♦♦ وتصدع بالتوحيد بين ظهورهم وتدعوهم سراً لذاك وتجهر
- ♦♦♦ هذا هو الدين الحنيفي والهدى وملة إبراهيم لو كنت تشعر

### المقتضى الرابع: سمع بلا تردد وطاعة بلا انحراف:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور: ٥١-٥٢). هذا هو شعار المؤمنين: سمع بلا تردد وطاعة بلا انحراف، فاعرض نفسك أخي الحبيب على أوامر النبي ﷺ نواهيته، هل امتثلت أمر النبي، هل اجتنبت نهيه، هل وقفت عند حدوده ﷺ، فإذا كنت من سمع الأمر وامتثل وسمع النهي فاجتنب الحد فوقف؛ فاسجد لربك شكراً وسل الله أن يزيدك حبا على حب لحبيك ﷺ.

وإذا كنت ممن سمع الأمر فلم يستجب والنهي فلم يتته والحد فلم يقف، فاعلم أن زعمك لحب النبي ﷺ زعم باهت بارد لا ساق له ولا قدم. . شعار المؤمنين السمع والطاعة، وشعار المنافقين السمع والمعصية؛ قال - جل وعلا -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضَلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ٦٠)، هذا هو شعار المنافقين: ألم ترى يا محمد ﷺ إلى هذا العجب العجيب إلى قوم يزعمون أنهم آمنوا بك وما أنزل عليك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمرهم الله أن يكفروا به.

لما نزل على رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٤)، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «اشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ، فانطلقوا حتى جثوا على الركب بين يديه وقالوا: يا رسول الله ﷺ، كلفنا من الأعمال ما نطبق: الصلاة والصيام

والجهاد والصدقة، ولقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطقها، فغضب النبي ﷺ وقال: «اتريدون أن تقولوا ما قاله أهل الكتابين من اليهود والنصارى سمعنا وعصينا»، بل قولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما أقرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، قال: نعم، ﴿وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، قال: نعم<sup>(١)</sup>.

فانظر أخي الحبيب كيف استجاب الله وخفف عن الأمة، كل ذلك ببركة السمع والطاعة، فيا من تدعي محبة النبي ﷺ ...

- أمرك النبي ﷺ بالصلاة في وقتها... فهل أديت الصلاة في أوقاتها؟
- أمرك النبي ﷺ بترك الحرام والربا... فهل تركت الربا؟
- أمرك بعدم شرب الخمر فهل تركت الخمر؟
- أمرك بترك الزنا... فهل ابتعدت عن الزنا وأسبابه؟
- أمرك ببر الوالدين... هل امتثلت الأمر؟
- أمرك بالإحسان إلى الجيران... هل أحسنت إليهم؟
- أمرك بالإحسان إلى الأخوة والأهل... هل أحسنت إليهم؟
- أمرك بإعفاء اللحية... هل أعفيت لحيتك؟

أعرض نفسك على أوامر النبي ﷺ ونواهيه وحدوده، وأجب نفسك بنفسك، واعرف مكانك من دعواك محبة النبي ﷺ واعرف مدى صدقها من كذبها، فإن كنت صادقاً في دعواك فاحمد الله، وإن كانت دعوة بلا معنى فسارع قبل أن تصيبك فتنة أو عذاب أليم، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

واعلم يقيناً أنك إن عصيت رسول الله ﷺ فقد عصيت الله، وإن أطعت رسول الله ﷺ فقد أطعت الله، وإن امتثلت أمر النبي فقد امتثلت أمر الله، قال - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر: ٧)، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (المائدة: ٩٢)، وقال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)، وقال - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥)، وقال - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات: ١).

❖ قال ابن عباس: أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

❖ قال مجاهد: أي لا تفتاتوا شيئاً على رسول الله ﷺ حتى يقضي الله

على لسان نبيه.

❖ قال القرطبي: لا تقدموا قولاً على قول الله ولا تقدموا قولاً ولا فعلاً

على قول وفعل رسول الله ﷺ.

❖ وقال الشنقيطي: لا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله، ولا حلال إلا ما

أحلّه الله ورسوله، ولا دين إلا ما شرعه الله على لسان رسول الله ﷺ.

فمن كَذَّبَ النبي ﷺ فقد كذب الله، ومن ضيع السنة فقد ضيع القرآن،  
ومن كفر بالنبي ﷺ فقد كفر بالرحمن.

❁ ففي سنن أبي داود من حديث المقدم بن معد يكرب أن النبي ﷺ قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه (القرآن والسنة)، ألا يوشك رجل شبعان متكئ علي أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم في من حرام فحرموه»، ثم قال ﷺ: «ألا إن ما حرم رسول الله كما حرم الله»<sup>(١)</sup>.

هكذا أخي الحبيب، طاعة النبي ﷺ من جملة طاعة الله - عزَّ وجلَّ -، وإياك ثم إياك من التفرقة بين الكتاب والسنة، وكن لحوحاً على نفسك لتأتمر بأمر النبي ﷺ وتنتهي بنهيه وتقف عند حدوده، وليكن شعارك دوماً: سمع بلا تردد وطاعة بلا انحراف.

وتذكر أن عدم الطاعة للنبي ﷺ تكون وبال شؤم على صاحبها، فقد حكى الله - جلَّ وعلا - عن الكفار في دركات جهنم قولهم: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (الاحزاب: ٦٦)، فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم الندم.

❁ وفي الحديث: «كل امتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٤-٤٦٠)، والترمذي (٢٦٦٦)، وابن ماجه (١٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٧٢٨٠)، ومسلم (١٨٣٥).

• وعنه ﷺ قال: «مثلي ومثل ما بعثني الله به؛ كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم، إن رأيت الجيش بعيني واني أنا النذير العريان، فالنجاء، فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة فاصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم .. فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق»<sup>(١)</sup>.

• وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بن داراً وجعل فيها مأدبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس<sup>(٢)</sup>.

فمن أطاع النبي ﷺ دخل الدار وأكل من المأدبة أي دخل الجنة، ومن عصى النبي ﷺ لم يدخل الجنة .. فطاعة النبي ﷺ طاعة لله، ومعصية النبي ﷺ معصية لله .

### المقتضى الخامس: توقير النبي ﷺ :

فمن مقتضيات المحبة ولوازمها: توقير النبي ﷺ وتبجيله وتعظيمه حياً وميتاً، وقد ورد من الآيات ما يدل على وجوب توقيره وامثال أمره ﷺ .  
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحجرات: ١)، وقال

(١) متفق عليه: البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤/٩).

سبحانه: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣)، وقال سبحانه: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ (الفتح: ٩)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الاعراف: ١٥٧)، ومن ذلك قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (النساء: ٦٤)، وقوله سبحانه: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)، وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (التور: ٥٤)، وقوله سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

### هذا وقد قال الشنقيطي - رحمه الله - في تفسيره (أضواء البيان):

وقد دلت آيات من كتاب الله على أن الله تعالى لا يخاطبه في كتابه باسمه، وإنما يخاطبه بما يدل على التعظيم والتوقير كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ (الاحزاب: ١)، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ (اللائحة: ٤١)، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْمِلُ﴾ (الزلزل: ١)، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر: ١)، مع أنه ينادي غيره من الأنبياء بأسمائهم؛ كقوله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ (البقرة: ٣٥)، ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (الصافات: ١٠٤)، وقوله: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (هود: ٤٦)، ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ (الاعراف: ١٤٤)، ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَقِّفُكَ﴾ (آل عمران: ٥٥)، ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ (ص: ٢٦).

أما النبي ﷺ فلم يذكر اسمه في القرآن في خطاب، وإنما يذكر في غير ذلك كقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، وقوله: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ (محمد: ٢)، وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (الفتح: ٢٩).

ومن صور إكرام الله لنبيه ﷺ وثنائه عليه ودفاعه عنه:

قوله سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (الفتح: ١-٣)، وقوله تعالى: ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (الطور: ٢٩)، وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (النجم: ٢)، وقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ (النجم: ٣)، وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ١-٤).

فعليه صلوات ربي وأفضل تسليماته، لما كانت هذه مكانته عند ربه سبحانه أنزل قوله - عز وجل - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢)، فنزلت هذه الآية في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

أخرج البخاري من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: «قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر: «أمرا الصعقاع بن معبد بن زارة»، فقال عمر: «بل أمرا الأقرع بن حابس»، قال أبو بكر: «ما اردت إلا خلافي»، قال عمر: «ما اردت خلافي»، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا...﴾ (الحجرات: ١)، حتى انقضت<sup>(١)</sup>.

• وأخرجه البخاري من طريق ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا - أبو بكر وعمر رضي الله عنهما -، لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم، أشار أحدهم

(١) البخاري (٤٣٦٧).

بالأقرع بن حابس التميمي الحنظلي أخي بني مجاشع، وأشار الآخر بغيره، فقال أبو بكر لعمر: «إنما أردت خلافي»، فقال عمر: «ما أردت خلافاً»، فارتفعت أصواتهما عند النبي ﷺ، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ٢) (١).

قال ابن الزبير ﷺ فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه (٢).

وروى الحاكم موصولاً بسند صحيح: أن أبا بكر لما نزلت الآية قال للنبي ﷺ: «أليت على نفسي يا رسول الله إلا اكلمك بعد اليوم إلا كاخى السرار» (٣)، أي كالذي يقول لأخيه سرّاً من الأسرار، وأنتم تعلمون أن الذي يقول لأخيه سرّاً يهمس في أذنه حتى لا يُسمع السر؛ انظروا إلى أدب الصحابة مع النبي ﷺ.

ويستفاد من سبب نزول هذه الآية: امتثال مزيد الأدب مع رسول الله ﷺ وإيضاح ذلك أن الآية كما سلف نزلت في أبي بكر وعمر رضياً، وهما خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، ومع ذلك نزل فيهما الذي نزل مع أنهما لم يخالفا رسول الله ﷺ في شيء أمر به، وإنما تقدما بقول قبل أن يقول رسول الله ﷺ كلمته، فجاءهم قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وكذلك جاءهم التهديد بإحباط العمل في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، فتخرج سائر الصحابة بنزول هذه الآية حتى من الإجابة على الأسئلة التي تطرح عليهم

(١) البخاري (٧٣٠٢)، يقول شيخنا أبي عبد الله مصطفى المدوني - حفظه الله -: أن هذا الحديث صورته صورة المرسل، وقد ورد عند الترمذي (٣٢٦٦) بسنده عن ابن أبي مليكة حدثني عبد الله بن الزبير، فصرح ابن أبي مليكة بتحديث ابن الزبير له، فاتصل السند بذلك.

(٢) البخاري (٤٨٤٥)، والترمذي (٣٢٦٦)، والنسائي (٥٣٨٦).

(٣) الحاكم (٤٦٢/٢)، وصرحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

من رسول الله ﷺ ، مع علمهم بها ، فكان ﷺ يسأله : «أي يوم هذا؟»<sup>(١)</sup> ، وهم يعرفون هذا اليوم وأنه يوم النحر ، ولكنهم يتخرجون من الإجابة تأدباً وظناً منهم أنه ﷺ يريد أن يسميه بغير اسمه ، فيقولون : «الله ورسوله اعلم» ، وكذا في إجابتهم لما سألهم رسول الله ﷺ : «أي شهر هذا؟» ، وكذا لما سألهم : «أي بلد هذا؟» .

وكذلك في حديث ذي اليبدين أنه قال لرسول الله ﷺ حين سلم من الركعتين : «أقصر الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟»<sup>(٢)</sup> . وقد كان في القوم أبو بكر وعمر ووجوه الصحابة ، فهابوا أن يكلموا رسول الله ﷺ ، وتكلم هذا الرجل . قال أبو المظفر السمعاني : لأنه لم يكن يعلم من قدره وعظم حقه ما كانوا يعلمون .

وبلغ التخرج غايته مع الصحابي الجليل ثابت بن قيس بن شماس بعد نزول قوله تعالى : ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ، ففي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس ، فقال رجل : يا رسول الله ، أنا أعلم لك علمه ، فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه ، فقال له : «ما شأنك؟» ، فقال : «شر» ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فحبط عمله ، وهو من أهل النار» ، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا ، فقال موسى : فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال : «اذهب إليه فقل له : إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة»<sup>(٣)</sup> .

(١) أخرجه البخاري (٦٧) ، ومسلم (١٦٧٩) .

(٢) أخرجه البخاري (١٢٢٨) ، ومسلم (٥٧٣) .

(٣) البخاري (٤٨٤٦) .

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إلى آخر الآية، جلس ثابت ابن قيس في بيته وقال: «أنا من أهل النار»، واحتبس عن النبي صلوات الله عليه، فسأل النبي صلوات الله عليه سعد بن معاذ فقال: «يا أبا عمرو، ما شان ثابت؟ أشتكى؟»، قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلوات الله عليه، فقال ثابت: «أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أنني من أرفعكم صوتاً على رسول الله صلوات الله عليه، فأنا من أهل النار»، فذكر ذلك سعد للنبي صلوات الله عليه، فقال رسول الله صلوات الله عليه: «بل هو من أهل الجنة»<sup>(١)</sup>.

انظر - رحماني الله وإياك - توقيير الصحابة للنبي صلوات الله عليه وخوفهم على أنفسهم على الرغم من أنهم أطهر الخلق بعد الأنبياء والمرسلين وأحبهم للنبي صلوات الله عليه وأخلصهم لله سبحانه، إلا أنهم كانوا يسيئون الظن بأنفسهم، فكان جزاءهم أن رضي الله عنهم - سبحانه وتعالى -.

وصور توقيير الصحابة للنبي صلوات الله عليه كثيرة ومتعددة، منها ما روي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «ما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلوات الله عليه، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملا عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقته لأنني لم أكن أملاً عيني منه».

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر، فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر، فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم لهما.

(١) صحيح مسلم (١١٩).

وروى أسامة بن شريك قال: أتيت النبي ﷺ وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير.

وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية إلى رسول الله ﷺ (عام القضية المقصود به العام الذي جرت فيه القضية: أي الصلح، وهو عام الحديبية)، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى، وأنه ما توضع إلا ابتدروا وضوءه، وكادوا يقتلون عليه، ولا يبصق بصاقاً ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إلى النظر تعظيماً له.

فلما رجع إلى قريش قال: يا معشر قريش، إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه. وفي رواية: إن رأيت ملكاً قط يعظه أصحابه ما يعظم محمداً أصحابه.

• وعن أنس رضي الله عنه: لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل.

• ولما أذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي ﷺ إليهم في القضية أبى وقال: «ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ».

• وعن المغيرة: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون بابه بالاظافر.

• وعن البراء بن عازب: لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله ﷺ عن الأمر فأؤخر سنين من هيئته.

وكذلك كان حال التابعين من بعدهم في توقيفهم للنبي ﷺ ، فكان مالك ابن أنس لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا على وضوء إجلالاً له .

❖ وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله ﷺ توضأ وتهاى ولبس ثيابه، ثم يحدث. قال مصعب: فستل عن ذلك فقال: «إنه حديث رسول الله ﷺ» .

❖ وعن مطرف قال: كان إذا أتى الناس مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا المسائل خرج إليهم، وإن قالوا الحديث، دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جُداً ولبس ساجة وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة، فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع، ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله ﷺ ، وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل. وقال: «أحب أن أفهم حديث رسول الله ﷺ» .

❖ وكان قتادة يستحب أن لا يقرأ أحاديث رسول الله ﷺ إلا على وضوء .

❖ ولقد ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله ﷺ ، فقال له مالك: «يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ١)، ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ (الحجرات: ٣)، وذم قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ (الحجرات: ٤)، وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً، فاستكان لها أبو جعفر .

❖ روى البخاري عن السائب بن يزيد قال: كنت واقفاً في المسجد النبوي يوماً، فحصبني رجل - أي رماني بحصاة -، فالتفت فإذا هو عمر بن الخطاب،

فنادى عليّ فذهبت إليه، يقول: فأشار إليّ على رجلين في المسجد النبوي أمام قبر النبي ﷺ، فأشار إليّ عمر وقال: أتني بهذين الرجلين، فجثته بهما، فلما وقفا أمام عمر قال لهما: «من أين انتما؟»، قالا: من الطائف، قال عمر: «والله لو كنتما من اهل هذه البلد لأوجعتكما ضرباً، اترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

• وكان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فيُنظر إلى لونه كأنما نرف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه هية منه لرسول الله ﷺ.

• وكان عامر بن عبد الله بن الزبير إذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع، وكان ابن سيرين ربما يضحك، فإذا ذكر عنده حديث رسول الله ﷺ خشع.. فحرمته ﷺ حياً كحرمته ميتاً، وعدم توقيره ذنب يعاقب الله صاحبه.

فمن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «كل بيمينك»، قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت، ما منعه إلا الكبر»، قال: فما رفعها إلى فيه<sup>(٢)</sup>.

• ومن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث سعيد بن المسيب - رحمه الله - عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: «ما اسمك؟» قال: حزن، قال: «أنت سهل»، قال: لا أغير اسماً سمانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعد<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٣/٨)، وأبو داود (٤٩٥٦).

## المقتضى السادس : توقيير الصحابة ﷺ :

فتوقيير الصحابة من لوازم محبة النبي ﷺ ومن تنمة توقييره ﷺ ، وهم المختارون لصحبة النبي ﷺ ؛ لظهرة قلوبهم ونقاء سريرتهم .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب الرجال بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه»<sup>(١)</sup> .

هذا الأثر جسد أنهم صفوة الخلق بعد الأنبياء : إنهم المهاجرون والأنصار الذين حملوا دعوة النبي المختار ﷺ ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فاستحقوا بجدارة واقتدار أن يبشروا وهم في الدنيا بالجنة والنجاة في الآخرة من النار . إنهم أصحاب النبي ﷺ حملة هذا الدين والدعاة إليه بإخلاص، فكان لهم الأجر العظيم لصحبتهم رسول الله ﷺ والجهاد معه في سبيل الله، وأعمالهم الجليلة في نشر الإسلام . ولهم مثل أجر من بعدهم لأنهم الواسطة بينهم وبين رسول الله ﷺ ، ومن دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه<sup>(٢)</sup> .

(١) أخرجه أحمد (٣٦٠٠)، وإسناده حسن، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١/١٧، ١٧٨)، وقال رواه أحمد والبخاري والطبراني في «الكبير»، ورجاله موثقون .

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٢٠٦) .

وقد أثنى الله عليهم في كتابه العزيز وأثنى عليهم رسول الله ﷺ في سنته المطهرة، وحسبهم ذلك فضلاً وشرقاً.. قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠)، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَمَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٢٩).

وفي قوله سبحانه في حق الصحابة الكرام ﷺ: ﴿لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، أخير حكم وأغلظ تهديد وأشد وعيد في حق من غيظ بأصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه غل لهم أو لأحدهم، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (الحديد: ١٠)، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: ٨-١٠).

فهذه ثلاث آيات من سورة الحشر؛ الأولى منها في المهاجرين، والثانية في الأنصار، والثالثة في الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار مستغفرين لهم الله تعالى أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وليس وراء هذه الأصناف الثلاثة إلا الخذلان والوقوع في حبال الشيطان، لذا قالت عائشة رضي الله عنها لعروة بن الزبير

بشأن بعض هؤلاء المخذولين: «أمرُوا ان يستغفروا لأصحاب رسول الله ﷺ فسبواهم، إنهم أصحاب النبي ﷺ الذين عدلهم ربهم ونبههم ﷺ».

قال الخطيب البغدادي في كتابه (الكفاية في علم الرواية): إن عدالة أصحاب النبي ﷺ ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختيارهم بنص القرآن، قال الرحيم الرحمن: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١).

وهم المخاطبون بقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَاَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضَّلْ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٧٢-١٧٤)، وقال الله في حقهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ٦٤)، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨).

والآيات في حقهم وفضلهم كثيرة - رضي الله عنهم جميعاً -، فهم خير الناس، كما قال النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فلو أحداً انفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣)، والترمذي (٣٨٥٨).

(٢) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤)، وأبو داود (٤٦٥٨).

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: مرُّ بجنزة فأنثي عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: «وجبت وجبت وجبت»، ومرُّ بجنزة فأنثي عليها شراً، فقال النبي ﷺ: «وجبت وجبت وجبت»، قال عمر: «فدى لك أبي وأمي، مرُّ بجنزة، فأنثي عليها خيراً فقلت: وجبت وجبت وجبت، ومرُّ بجنزة فأنثي عليها شراً فقلت: وجبت وجبت وجبت»، فقال رسول الله ﷺ: «من اثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن اثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنت شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض»<sup>(١)</sup>.

❁ وفي صحيح مسلم عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، قال أبو بكر: «اتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم»، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك»<sup>(٢)</sup>. فأتاهم أبو بكر فقال: «يا إخوانه، أغضبتكم»، قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي.

❁ وفي صحيح مسلم من حديث أبي بردة عن أبيه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي بعد العشاء، قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «مازلتم هاهنا»، قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: «أحسنتم أو أصبتم»، قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: «النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد. وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهبت

(١) صحيح: البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩).

(٢) رواه مسلم (٢٥٠٤).

أتى أصحابي ما يوعدون. وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»<sup>(١)</sup>.

والوارد في حق الصحابة من الآيات والأحاديث كثير، لكن مادام التفاضل سنة من سنن الله في كونه فالله سبحانه، فاضل بين الشهور بعضها ببعض وفاضل بين الأيام بعضها ببعض، وفاضل بين الأنبياء وفاضل بين البلاد، فالواجب علينا بعد محبة الصحابة وتوقيرهم جميعاً أن نحفظ لأهل الفضل منهم فضلهم، الذين فضّلهم الله ورسوله على غيرهم.

وفي مقدمتهم الصديق أبو بكر رضي الله عنه، ذلك الرجل الذي عاين طائر الفاقة يحوم حول حب الإيثار، فألقى له الصديق حب الحب على روض الرضا، واستلقى الصديق على فراش الفقر آمناً مطمئناً، فرقع الطائر الحب إلى حوصلة المضاعفة وتركه هنالك، ثم علا أفنان شجرة الصدق يغرد للصديق بأعلى وأعلى فنون المدح ويتلو في حقه قول ربه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (الليل: ١٧-٢١).

• عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه ليس من الناس أحد آمن علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدوا كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٥٣١).

(٢) رواه البخاري (٤٦٧)، وأحمد (١/٢٧٠).

• عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلی الله علیه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب»، فعد رجالاً<sup>(١)</sup>.

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلی الله علیه وسلم: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر»، فبكى أبو بكر وقال: «هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله»<sup>(٢)</sup>.

• وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلی الله علیه وسلم أنه قال: «إن أهل الدرجات العلى ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وانعما»<sup>(٣)</sup>.

• وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلی الله علیه وسلم: «أبو بكر وعمر من هذا الدين كمنزلة السمع والبصر من الرأس»<sup>(٤)</sup>.

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم يقول: «من انفق زوجين من الأشياء في سبيل الله؛ دُعي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام وباب الريان»، فقال أبو بكر: «ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة؟»، وقال: «وهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟»، قال:

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٤)، والترمذي (٣٨٨٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٦١)، وابن ماجه (٩٤)، وأحمد (٢/٢٥٣).

(٣) رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٣٠).

(٤) قال الألباني في «الصحيحة» (٨١٥): هذا إسناد حسن رجاله كلهم ثقات.

«نعم، وارجو ان تكون منهم يا ابا بكر»<sup>(١)</sup>، وفي رواية ابن حبان من حديث ابن عباس قال عليه السلام : «اجل، وانت هو يا ابا بكر».

يقول ابن القيم - رحمه الله - في (النونية):

ولسوف يُدعى المرء من ابوابها ♦♦♦ جمعاً إذا وفى حُلَى الإيمان  
منهم أبو بكر هو الصديق ذاك ♦♦♦ خليفة المبعوث بالقرآن

فرضي الله عن ابي بكر وسائر الصحابة الكرام

وثانيهم الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

ذلك الرجل العملاق الذي بركت الدنيا بزييتها وزخارفها على عتبة داره فطلقها ثلاثاً وسرحها سراحاً جميلاً، وقام يفض يديه من علائق هذا المتاع الزائل، واستأنف سيره وسط الصحراء تحت حرارة الشمس المحرقة.

تراه يجري وراء بعير قد ندد من إبل الصدقة يخشى عليه الضياع، يخشى أن يُسأل عنه بين يدي الله - عزَّ وجلَّ - يوم القيامة، أو تراه وهو الخليفة تراه منحنيًا على قدر فوق نار مشتعلة ينفخ النيران تحت القدر لتنضح النيران طعمة سريعة لأطفال يتضورون جوعًا.

أو تراه واقفًا أمام خيمة رجل يبكي لامرأته التي أدركها كرب المخاض وهي لا تجد أحد يؤنسها، فيسرع ليأتي بزوجته وهو خليفة المسلمين لتقف مع هذه المرأة حتى تضع ولدها.

أو تراه يمشي في السوق يومًا يتفقد أحوال الناس، فيرى إبلاً ثمينة فيسأل عمر: «إبل من هذه؟»، فيقولون: إبل عبد الله بن عمر، وكان حية قد انقضت

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).

عليه فلدغته وأفرغت كل سمها في جوفه، فيقول: «بخ بخ، إبل عبد الله بن عمر، ائتوني به»، ويأتي عبد الله بن عمر يرتجف ويرتعد وهو من هو إمام في الزهد والورع، يقول عمر: «يا عبد الله، ما هذه الإبل؟»، فيقول عبد الله: «يا أبا، إبل مريضة هزيلة اشتريتها بخالص مالي وأطلقتها في الحمى ترعى وأتيت بها إلى السوق لأبتغي ما يبتغيه المسلمون من الريح والتجارة».

فيقول عمر رضي الله عنه: «بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين، فإذا رأى الناس إبلك قالوا: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، فتسمن إبلك ويربوا ربحك يا ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله»، قال: «لبيك يا أبا، مرني بما شئت»، فقال عمر: «بع الإبل الآن، وخذ رأس مالك ورد الريح إلى بيت مال المسلمين».

إنه عمر الفاروق الذي اشتهدت زوجته الحلوى يوماً وهو خليفة المسلمين، فأبى عليها وقال: «من أين لي ثمن الحلوى فأشترتها».

وصدق من قال فيه:

يا رافعاً راية الشورى وحارسها ♦♦ جزاك ربك خيراً عن محبيها  
 رأي الجماعة لا تشقى البلاد به ♦♦ رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها  
 إن جاع في شدة قوم شركتهم ♦♦ في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها  
 جوع الخليفة والدنيا بقبضته ♦♦ منزلة في الزهد سبحان مواليتها  
 فمن يباري أبا حفص وسيرته ♦♦ أو من يحاول للضاروق تشبيها  
 يوم اشتهت زوجته الحلوى ♦♦ فقال لها من أين لي ثمن الحلوى فأشترتها  
 ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به أولى ♦♦ فقومي لببيت المال رديها  
 فذاك أخلاقه كانت وما عهدت ♦♦ بعد النبوة أخلاق تحاكيها

واسمع للنبي ﷺ وهو يضع تلك الأوسمة على صدر عمر رضي الله عنه، ففي سنن الترمذي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»<sup>(١)</sup>.

❁ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «بيننا انا نائم رايتني هي الجنة، فإذا مرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبراً»، فبكى عمر وقال: «أعليك أغار يا رسول الله؟»<sup>(٢)</sup>.

❁ وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بيننا انا نائم، رايت الناس يعرضون وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض عليّ ابن الخطاب وعليه قميص يجره»، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «الدين»<sup>(٣)</sup>.

❁ وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بيننا انا نائم، أوقيت بقدر لبن هشريت منه حتى اني لأرى الري يخرج من اظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب»، قال من حوله: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «العلم»<sup>(٤)</sup>.

❁ وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر على النبي ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه، وفي رواية: يسألنه

(١) حسن، أخرجه الترمذي (٣٦٨٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٨٠)، ومسلم (٢٣٩٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٩١)، ومسلم (٢٣٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٨١)، ومسلم (٢٣٩٠)، والترمذي (٢٢٨٥).

ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر يقمن يستدرون الحجاب، فأذن له النبي ﷺ، فدخل عمر والنبي ﷺ يضحك، قال عمر: «أضحك الله سنك بأبي أنت وأمي، ما أضحكك؟»، فقال: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب»، قال عمر: «فأنت يا رسول الله لأحق أن يهين»،

ثم قال عمر رضي الله عنه: «أي عدوات أفسهن، اتهيني ولا تهين النبي ﷺ»، قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك»<sup>(١)</sup>.

إنه عمر الذي كان ينزل القرآن من عند الله - عز وجل - موافقاً لآرائه، يا لها من منزلة عظيمة ومنقبة جليلة، أكرم الله بها فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عن أنس رضي الله عنه قال عمر: «وافقت ربي في ثلاث، فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥). وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب. واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت هذه الآية»<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٧).

(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٠٢)، (٤٤٨٣)، والترمذي (٢٩٥٩) وأحمد (٢٣/١).

## ◆ حرمة سب الصحابة ﷺ ◆

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو احدكم انفق مثل احد ذهباً ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه»<sup>(١)</sup>.

المد: هو نوع المكايل، وهو ربع صاع، وهو قدر مد النبي ﷺ.

وعن عبد الله بن المغفل أن النبي ﷺ قال: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن احبهم فبحبي لهم احبهم، ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله اوشك أن ياخذ»<sup>(٢)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله - تبارك وتعالى - اختارني، واختار لي أصحاباً، فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منهم يوم القيامة صرف ولا عدل»<sup>(٣)</sup>.

الصرف: النافلة.

العدل: الفريضة.

● وقال الإمام الذهبي - رحمه الله -: «إنما يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام وإعلاء كلمة الله ورسوله وتعليم فرائضه وسننه، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسُنن سنة ولا فرضاً، ولا علمنا من الأحاديث

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٨٧/٤)، والترمذي (٣٨٦٢).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٦٣٢/٣)، وأبو نعيم في الحلية (١١/٢).

والأخبار شيئاً، فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثناء عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائل الماثورة والوسائل من المنقول والطعن في الوسائل طعن في الأصل والإزدراء بالناقل ازدراء بالمنقول. وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق والزندقة والإلحاد في عقيدته<sup>(١)</sup>.

● وقال إمام أهل السنة / أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - : «ومن الحجة الواضحة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين والكف عن ذكر مساويهم، والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً فيهم أو تنقص أو طعن عليهم أو عرض بعييهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافض خبيث مخالف، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، بل حبه سنة والدعاء لهم قرينة والاقتران بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة، وأصحاب رسول الله ﷺ هم خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ : «احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ : «نعم الله من سب أصحابي»<sup>(٤)</sup>.

وقال الميموني: سمعت أحمد يقول: «ما لهم ولعاوية؟ نسأل الله العافية»،

وقال لي: «يا أبا الحسن، إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام»<sup>(٥)</sup>.

(١) «الكبائر» للإمام الذهبي (ص ٢٧٦). (٢) «السنة» للإمام أحمد (ص ٧٨).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٦٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٦).

(٤) رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١١١).

(٥) رواه اللالكاني في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٣٥٩).

وروى ابن بطة بإسناد صحيح كما في (منهاج السنة) لابن تيمية عن ابن عباس أنه قال: «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة - يعني مع رسول الله ﷺ - خير من عمل أحدكم أربعين سنة»، وفي رواية وكيع: «خير من عمل أحدكم عمره»، ولما ذكر سعيد ابن زيد رضي الله عنه العشرة المبشرين بالجنة قال: «والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه، خير من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح»<sup>(١)</sup>.

وعن جابر رضي الله عنه: قيل لعائش: إن ناساً يتناولون أصحاب النبي ﷺ حتى أبا بكر وعمر، فقالت: «وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر». ذكره ابن الأثير في (جامع الأصول)، وشاهد قول النبي ﷺ: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه؛ أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»<sup>(٢)</sup>.

وأخيراً، روى الإمام أحمد بسند حسن من حديث ابن مسعود موقوفاً عليه رضي الله عنه قال: «من كان مستنأ فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٠)، وابن ماجه (١٣٤)، وأحمد (١٦٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨١)، والترمذي (٢٤١٨)، وأحمد (٣٠٣/٢).

### المقتضى السابع : نصره النبي ﷺ والغيرة على عرضه :

قال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٨) لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفتح: ٨-٩) .

قال السعدي .رحمه الله .في (تفسيره) : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ أيها الرسول الكريم ﴿شَاهِدًا﴾ لأمتك بما فعلوه من خير وشر، وشاهدًا على المقالات والمسائل حقها وباطلها، وشاهدًا لله تعالى بالوحدانية والإنفراد بالكمال من كل وجه . ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من أطاعك وأطاع الله بالشواب الدنيوي والديني والأخروي ، ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن عصى الله بالعقاب العاجل والآجل .

ومن تمام البشارة والندارة بيان الأعمال والأخلاق التي يبشر بها وينذر، فهو المبين للخير والشر والسعادة والشقاء والشقاوة والحق من الباطل؛ ولهذا رتب على ذلك قوله : ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، أي بسبب دعوة الرسول لكم وتعليمه لكم ما ينفعكم أرسلناه، لتقوموا بالإيمان بالله ورسوله المستلزم ذلك لطاعتها في جميع الأمور، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه أي تعظموه وتحلوه وتقوموا بحقوقه كما كانت له المنة العظيمة في رقابكم . فكما أن الإيمان به ﷺ فريضة، فكذلك توقيره ونصره ﷺ .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية .رحمه الله .في (الصارم المسلول) <sup>(١)</sup> :

أن الله فرض علينا تعزير رسوله وتوقيره، وتعزيره نصره ومنعه، وتوقيره إجلاله وتعظيمه . وذلك يوجب صون عرضه بكل طريق، بل ذلك أول درجات

(١) «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ» (١٨٠) .

التعزير والتوقير، فلا يجوز أن نصلح أهل الذمة على أن يسمعونا شتم نبينا ويظهروا ذلك، فإن تمكينهم من ذلك ترك للتعزير والتوقير، وهم يعلمون أن لا نصلحهم على ذلك، بل الواجب علينا أن نكفهم عن ذلك ونزجرهم عنه بكل طريق، وعلى ذلك عاهدتهم، فإذا فعلوا فقد نقضوا الشرط الذي بيننا وبينهم.

**وقال - رحمه الله -** : إن نصر رسول الله ﷺ فرض علينا؛ لأنه من التعزير المفروض، ولأنه من أعظم الجهاد في سبيل الله، ولذلك قال سبحانه: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨)﴾ إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴿ (التوبة: ٣٨-٤٠)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (الصف: ١٤)، بل نصر آحاد المسلمين واجب بقوله: «انصراخاك ظالماً أو مظلوماً»<sup>(١)</sup>، ويقول: «المسلم أخو المسلم، لا يسلمه ولا يظلمه»<sup>(٢)</sup>، فكيف لا ينصر رسول الله ﷺ؟!؟

ومن أعظم النصر حماية عرضه ممن يؤذيه وحماية عرضه ﷺ في كونه نصراً أبلغ منه في حق غيره؛ لأن الواقعة في عرض غيره لا تضر مقصوده، بل يكتب له بها حسنات، أما انتهاك عرض رسول الله ﷺ فإنه منافٍ لدين الله بالكلية، فإن العرض متى انتهك سقط الاحترام والتعظيم، فسقط ما جاء به من الرسالة، فبطل الدين، فقيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين

(١) رواه البخاري (٢٤٤٣)، والترمذي (٢٢٥٥)، وأحمد (٩٩/٣)، (٢٠١).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨)، وأبو داود (٤٨٩٣).

كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله، وإذا كان كذلك وجب علينا أن نتصر له من انتهاك عرضه، والانتصار له بالقتل؛ لأن انتهاك عرضه انتهاك لدين الله، ومن المعلوم أن من سعى في دين الله بالإفساد استحق القتل، بخلاف انتهاك عرض غيره، فإنه لا يبطل الدين، والمعاهد لم نعهده على ترك الانتصار لرسول الله ﷺ منه ولا من غيره، فإذا سبه فقد وجب علينا أن نتصر له بالقتل، ولا عهد معه على ترك ذلك فيجب قتله، وهذا بين واضح لمن تأمله.

وقد كان الصحابة رضوانهم أشد غيرة على عرض نبيهم ﷺ لفهمهم ما لسب النبي ﷺ من خطورة على الدين، لذا فلقد امتلأت السنة بالكثير من القصص التي تحمل تجسيدا لغيرة الصحابة على النبي ﷺ . . من ذلك:

■ قصة العصماء بنت مروان: قال الواقدي (صاحب المغازي)<sup>(١)</sup>: أن عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد وكانت تحت يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، وكانت تؤذي النبي ﷺ وتعيب الإسلام وتحرض على النبي ﷺ وتقول:

فبأست بني مالك والنبيت .. وعوف وبأست بني الخزرج  
اصصمتم أتاوى من غيركم .. فلا من مراد ولا من مذبح  
ترجونه بعد قتل الرؤوس .. كما ترجي مرق المنضج

فقال عمير بن عدي الخطمي حين بلغه قولها وتحريضها: اللهم إن لك عليّ نذراً لئن رددت رسول الله ﷺ إلى المدينة لأقتلنها، ورسول الله ﷺ بيد، فلما رجع رسول الله ﷺ من بدر جاء عمير بن عدي في جوف الليل حتى دخل عليها في بيتها وحولها نفر من ولدها نيام، منهم من ترضعه في صدرها،

(١) «المغازي» للواقدي (١/١٧٢).

فجسها بيده فوجد الصبي ترضعه، فنحَّاه عنها ثم وضع سيفه على صدرها حتى أنقذه من ظهرها، ثم خرج حتى ﷺ الصبح مع النبي ﷺ، فلما انصرف النبي ﷺ نظر إلى عمير فقال: «اقتلت بنت مروان»، قال: نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله .

وخشى عمير أن يكون أفتات على رسول الله ﷺ بقتلها، فقال: هل عليَّ في ذلك شيء يا رسول الله؟ قال: «لا ينتطح فيها عنزان»، فإن أول ما سمعت هذه الكلمة من رسول الله ﷺ، قال عمير: فالتفت النبي ﷺ إلى من حوله فقال: «إذا أحببتهم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدي»، فقال عمر بن الخطاب: «انظروا إلى هذا الأعمى الذي تسرى في طاعة الله»، فقال: «لا تقل الأعمى، ولكنه البصير».

فلما رجع عمير من عند رسول الله ﷺ وجد بنيها في جماعة يدفنونها، فأقبلوا إليه حين رأوه مقبلاً من المدينة، فقالوا: يا عمير، أنت قتلتها؟ فقال: نعم، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون، والذي نفسي بيده، لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم. فيومئذ ظهر الإسلام في بني خنبرة، وكان منهم رجال يستخفون بالإسلام خوفاً من قومهم، فقال حسان بن ثابت يمدح عمير بن عدي:

- |                        |    |                            |
|------------------------|----|----------------------------|
| بني وائل وبني واقف     | ♦♦ | وخطمة دون بني الخزرج       |
| متى ما دعت أختكم       | ♦♦ | ويحها بعونتها والمنايا تجي |
| فهزت فتى ماجداً عرقه   | ♦♦ | كريم المداخل والمخرج       |
| فضرجها من نجيع الدما   | ♦♦ | قُبيل الصباح ولم تخرج      |
| فأوردك الله برد الجنان | ♦♦ | جدلان في نعمة المولج       |

• ومن ذلك قصة الأعمى الذي قتل أم ولده: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر، فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فأخذ المغول فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها، فلما أصبح ذُكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فجمع الناس فقال: «انشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام»، قال: فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتدلّل حتى قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رقيقة، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعت في بطنها واتكأت عليه حتى قتلتها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إلا اشهدوا أن دمها هدر»<sup>(١)</sup>.

المغول: شبيه المشمل، نصله دقيق ماض، والمشمل هو السيف القصير.

• ومن ذلك: قصة محمد بن مسلمة رضي الله عنه وقتله كعب بن الأشرف اليهودي؛ لأنه آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم. . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله»، فقام محمد ابن مسلمة فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم»، قال: فأذن لي أن أقول شيئاً<sup>(٢)</sup>، قال: «قل».

فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا الصدقة، وإنه قد عتانا<sup>(٣)</sup>، وإني قد أتيت أستسلفك، قال: قال: وأيضاً والله لتملته، قال: اتبعناه

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٦١)، والنائي (٤٠٧٠)، والمدارطني (٢١٦/٤)، والحاكم (٣٥٤/٤)، وصححه العلامة الألباني.

(٢) فأذن لي أن أقول شيئاً: أي أقول كلمة أخدعه بها، والحرب خدعة.

(٣) هد عتانا: أي اتبعنا وأجهدنا.

فلا نحب أن ندعه ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقًا أو وسقين، فقال: نعم ارهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو بوسقين، هذا عار علينا، ولكن نرهنك اللاتمة، قال سفيان: يعني السلاح.

فواعده أن يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليه، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة. وقال غير عمرو: ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعى إلى طعنة بليل لأجاب، قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، قيل لسفيان سماهم عمرو؟ قال: سمى بعضهم: قال عمرو جاءه برجلين، وقال غير عمرو أبو عيس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر، قال عمرو: جاء معه برجلين، فقال: إذا ما جاء فإني قاتل بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، وقال مرج ثم أشمكم، فنزل إليه متوحشاً وهو ينيخ منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كالأيوم ريحاً (أي أطيب)، وقال غير عمرو: قال عند أعطر نساء العرب وأكمل العرب، قال عمرو: فقال، أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فشمه ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه ثم أتوا رسول الله ﷺ فأخبروه<sup>(١)</sup>.

وقد كان كعب بن الأشرف شاعراً يهودياً، وكان يهجو رسول الله ﷺ، وفي رواية جابر عند الحاكم في (الإكليل): فقد آذانا بشعره وقوى المشركين،

(١) متفق عليه: البخاري (٣٠٣١، ٣٠٣٢)، ومسلم (١٨٠١)، وأبو داود (٢٧٦٨).

فلما طلب النبي ﷺ فارساً من الصحابة الكرام فرسان الإسلام، قام إليه محمد بن مسلمة رضي الله عنه، واستأذن النبي ﷺ في أن يعرض عليه بالكلام، وفي المعارض مندوحة عن الكذب، فأخبر كعباً أن رسول الله ﷺ قد «عنانا» أي أتعبنا وبلغ منا الجهد، هي تحتمل ما فهمه كعب من أنهم سوف يملون رسول الله ﷺ، وهي تحتمل أنهم يبذلون في الإسلام ويتحملون المشاق في سبيل الله - عزَّ وجلَّ - .

وقد روى ابن إسحاق أن النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد ثم وجههم فقال: «انطلقوا على اسم الله، اللهم اعنهم». وقد ظهر في قصة قتل كعب بن الأشرف توفيق الله - عزَّ وجلَّ - لمحمد بن مسلمة وصاحبيه، وإنما دفع الصحابة الكرام إلى هذه المواقف شدة محبتهم للنبي ﷺ ومبادرتهم لتنفيذ أمره.

وقال ابن إسحاق، رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبب بنساء المؤمنين حتى آذاهم، فقال رسول الله ﷺ كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة: «من لي بابن الأشرف؟»، فقال له محمد بن مسلمة أخو بني الأشهل: «أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله»، قال: «فافعل إن قدرت على ذلك»<sup>(١)</sup>.

وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلام بن أبي الحقيق:

- لله درُ عصابة لاقيتهم
- يا ابن الحقيق وانت يا ابن الأشرف
- يسرون بالبيض الخفاف إليكم
- فرحاً كاسد في عرين معرف
- حتى أتوكم في محل بلادكم
- فسقوكم حتفاً ببيض ذفف
- مستنصرين لنصردين نبيهم
- مستصفرين لكل أمر مجحف<sup>(٢)</sup>

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/١٤٠).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٣/١٤٢).

• ومن ذلك قصة رافع بن أبي الحقيق، ويقال سلام بن أبي الحقيق: قال ابن هشام في (السيرة النبوية): لما انقضى أمر الخندق وأمر بني قريظة، وكان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق ممن كان حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف في عداوة رسول الله ﷺ وتحريضه عليه، فاستأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق، وكان بخيبر، فأذن لهم<sup>(١)</sup>.

ففي صحيح البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار، فأمر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرهم، فقال عبد الله لأصحابه، اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلني أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس، فهت به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت فكلمت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغالق على وتد.

قال: فقمتم إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليّ من داخل، قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري

(١) (سيرة ابن هشام) (٣/ ٢٣١)، وأخرجه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٣٧) مختصراً.

أين هو من البيت؟ ، فقلت: يا أبا رافع، قال: من هذا، فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش، فما أغنيت شيئاً، وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبلُ بالسيف، قال: فأضربه ضربة أثخته ولم أقتله، ثم وضعت ظبة السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أنني قتلته.

فجعلت أفتح الابواب باباً باباً، حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أنني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتله، فلما صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي، فقلت: النجاء فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال: «ابسط رجلك»، فبسطت رجلي، فمسحها فكانها لم أشتكها قط<sup>(١)</sup>.

❖ وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: إني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثه أسنانهما، فتمنيت أني أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: أي عم، هل تعرف أبا جهل؟، قلت: نعم، فما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسبُ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل من، قال: فتعجبت لذلك.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٠٣٩).

وقال: وغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت لهما: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «ايكما قتله؟» فقال كل واحد منها: أنا قتلته؟ فقال: «هل مستحما سيفيكما؟»، فقالا: لا، فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين فقال: «كلاكما قتله»<sup>(١)</sup>، وقضى رسول الله ﷺ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء . . والقصة مشهورة في فرح النبي ﷺ بقتله وسجوده شكراً وقوله: «هذا فرعون هذه الأمة»<sup>(٢)</sup>.

ومن سنة الله أن من لم يمكن المؤمنون أن يعذبوه من الذين يؤذون الله ورسوله، فإن الله سبحانه يتقمم منه لرسوله ويكفيه إياه، قال سبحانه: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾، فهذه الآية بشارة للمؤمنين الذين أذوا بسبب سب نبيهم ﷺ ولم يُمكنوا من الانتصار له أن الله يكفيهم هذا الأمر ويثلج صدورهم بالنصر لرسوله ﷺ.

وقد ذكر أهل التفسير والسير إهلاك الله للذين كانوا يستهزئون بالنبي ﷺ منهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسودان بن المطلب وابن عبد يغوث والحارث بن قيس.

وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر وكلاهما لم يُسلم، لكن قيصر أكرم كتاب النبي ﷺ وأكرم رسوله فنبت ملكه وكسرى مزق كتاب رسول الله

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢)، وأحمد (١/١٩٢).

(٢) أخرج بهذا اللفظ أحمد (٤٠٣/١)، والطبراني في «الكبير» (٨٤٧١)، وقال الطبراني في «المجمع»

(٧٩/٦): رجاله رجال الصحيح غير وهب بن أبي كريمة وهو ثقة.

ﷺ واستهزه برسول الله ﷺ فقتله الله بعد قليل ومزق ملكه كل ممزق، وهذا والله أعظم تحقيق لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٣)، فكل من شنأه وأبغضه وعاداه ﷺ فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره.

وقد قيل أنها نزلت في العاص بن وائل أو في عقبة بن أبي معيط أو في كعب بن الأشرف، وقد رأى صنع الله بهم. ومن الكلام السائر: «لحوم العلماء مسمومة»، فكيف بلحوم الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالمحاربة»<sup>(١)</sup>. فكيف بمن عادى الأنبياء ومن حارب الله تعالى حرب، وإذا استقصيت قصص الأنبياء المذكورة في القرآن تجد أنهم إنما أهلكوا حين آذوا الأنبياء وقابلوهم بقيح القول أو العمل.

وهكذا بنوا إسرائيل إنما ضربت عليهم الذلة وباءوا بغضب من الله لقتلهم الأنبياء بغير حق مضموماً إلى كفرهم، كما ذكر الله ذلك في كتابه، ولعلك لا تجد أحداً آذى نبياً من الأنبياء ثم لم يتب إلا ولا بد أن تصيبه قارعة، وقد جرب المسلمون تعجيل الله بالانتقام من الكافرين، إذا تعرضوا لسب النبي ﷺ.

فאלلهم عجل لنا بالنصر من عدوك وعدونا الذين سبوا رسولك ﷺ، ولا حيلة لنا في الانتقام له ﷺ، وائلج اللهم صدورنا بقرار عيوننا بالانتقام منهم، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

(١) البخاري (٦٥/٢)، والبيهقي في «الاسماء والصفات» (٤٩١).

### المقتضى الثامن : ترسيخ محبة النبي ﷺ في نفوس الأطفال :

إذ بها يتحقق الشطر الثاني من الشهادة، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ .

وقد سار السلف الصالح ومن خلفهم في تركيزها وتثبيتها في نفس الطفل، إذ به تتحرك مشاعر الطفل وأحاسيسه وتزيد حرارة الشعور الإسلامي، وتدفع به إلى كل خير وتحل له مشكلاته كلها، وتهون عليه كل مصيبة، ومن الملاحظ على النفس البشرية عامة أنها في مرحلة بنائها تحاول أن تتشبه بأقوى شخصية حولها لتقتدي بها وتسير على هداها وتقلدها في كل حركاتها. والتربية الإسلامية طلبت أن يشد الطفل الصغير والرجل الكبير إلى شخص الرسول ﷺ، إذ هو القدوة الراسخة الثابتة التي لا تتبدل، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وهو أفضل رسل الله أجمعين.

وما العذاب الذي تصاب به النفس البشرية، وما الأمراض النفسية والعصبية المنتشرة هنا وهناك إلا أثر من آثار البعد عن القدوة الصحيحة وعدم التشبه برسول الله ﷺ، وإنما نلاحظ من الأجيال المنحرفة أنها تعيش في فراغ الشخصية تلهث وراء المواضع المتغيرة بين فصل وآخر من فصول السنة وتركض وراء الممثلين المائعين المنحرفين البعيدين كل البعد عن المنهج الرباني، وتهول خلف بعض من يسمون أنفسهم مفكري العصر ورواده المثقفين الذين ينفخ الشيطان في رؤوسهم فيحسبونه فكراً نيراً.

وهكذا نجد أهمية وجود شخصية حية يقتدي بها الطفل الناشئ، وهل هناك أفضل من الاقتداء برسول الله ﷺ، فكيف إذن نرسخ محبة النبي ﷺ؟ :

أولاً - بالأمور التي ذكرناها سابقاً، وهي الوصول إلى حب الرسول ﷺ ، ولكن يجدر التنبيه إلى أن الطفل لن يصل إلى هذه الأمور بنفسه، فلا بد إذن من وجود وسيط مخلص بينه وبين النبي ﷺ ، ونقصد به هنا أبوي الطفل؛ لأنه في بدء حياته لا يتعلم إلا من سلوك أبويه، فإذا ما سلك الآباء المسلك الصحيح إلى الله فسوف يخلفهم الأبناء على ذلك؛ لأن الطفل غالباً يحب ما يحبه أبواه ويحاول تقليدهما في كل شيء.

فكل أمر يريد المربي أن يرسخه في نفس الطفل فعليه هو القيام به أمامه تكراراً لينشأ الطفل على اعتقاد صحته، وإياك ثم إياك أن تختلف أقوالك لولدك مع أفعالك، وإلا فسوف تكون سبباً في تسرب أخلاق المنافقين إلى ولدك - والعياذ بالله -.

• ثم بعد ذلك بتعليمه القرآن؛ فينبغي لولي الصغير والصغيرة أن يبدأ بتعليمهما القرآن منذ الصغر، وذلك ليتوجها إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربهم وأن هذا كلامه تعالى وتسري روح القرآن في قلوبهم ونوره في أفكارهم ومداركهم وحواسهم، ولتلقيا عقائد القرآن منذ الصغر، وأن ينشأ ويشبا على محبة القرآن والتعلق به والاثتمار بأمره والانتهاز عن مناهيه والتخلق بأخلاقه والسير على منهاجه.

قال الحافظ السيوطي: تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشأون على الفطرة ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال.

وأكد ابن خلدون هذا المفهوم بقوله: تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهالي الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق إلى القلوب

من رسوخ الإيمان وعقائده بسبب آيات القرآن ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات.

وتعلم الطفل للقرآن في الصغر ينقي سيرته، ويجعله محلاً صالحاً لقبول الخير، ومن أهمه محبة النبي ﷺ التي ننشدها.

• ثم بعد ذلك نسرّد على آذانهم مواقف أطفال الصحابة مع النبي ﷺ ومحبتهم له، ومن ذلك ما فعله علي بن أبي طالب ﷺ في المسارعة لتلبية دعوة النبي ﷺ له إلى الإسلام دون استشارة أحد، وكذلك يعايش ﷺ وهو في الثامنة من عمره الدعوة الإسلامية الأولى في مرحلتها السرية والعلنية دون خوف أو وجل ويصلي مع النبي ﷺ وزوجته خديجة في شعاب مكة سرّاً فيراه أبوه أبو طالب، فإذا بعلي لا يخاف ولا يتلجلج.

ثم هذا أنس ﷺ وهو الطفل الصغير الذي قام على خدمة النبي ﷺ عشر سنين يتخلى عن أحب شيء إلى الأطفال ويستجيب للنداء ويسارع لتنفيذ الأمر النبوي، فيترك اللعب وينصاع للأمر، بل إن الأمر ليتعدى انتظار الأوامر ويتقل أطفال الصحابة إلى مرحلة أعلى في الحب الصادق، وذلك بترقب حاجيات النبي ﷺ ليسارعوا إلى وضعها أمامه بدون أن يتكلم أو يسمع أمراً، وهذا من قيم الحب الخالدة.

• أخرج البخاري عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ دخل الخلاء، قال: فوضعت له وضوءاً فقال: «من وضع هذا؟»، فأخبره فقال: «اللهم فقهه في الدين»<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

• وروى الشيخان عن عطاء بن أبي ميمونة قال: سمعت أنسًا يقول: «كان رسول الله ﷺ يأتي الخلاء فاتبعه أنا و غلام من الأنصار يداوة من ماء، فيستنجي به،»<sup>(١)</sup>.

• ومن حبهم للنبي ﷺ قتلهم لمن يؤذي النبي ﷺ، كما في قصة معاذ ابن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء.

وقد روى شهاب الدين الأبهسي في كتابه (المستطرف من كل فن مستظرف) قصة لطيفة في ميناها ومعناها، وهي أن غلمانًا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالة وأسقف البحرين قاعد، فوقعت الكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه، فأبى فقال غلامهم: سألتك بحق محمد ﷺ إلا رددتها علينا، فأبى - لعنه الله - وسب الرسول ﷺ، فأقبلوا عليه بصواليجهم فما زالوا يخبطونه حتى مات - لعنه الله -، فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلامان لذلك الأسقف وقال: «الآن عز الله الإسلام أن أطفالاً صغاراً شتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا، فأهدر دم الأسقف، والله سبحانه أعلم.

• وكذلك ينبغي تحفيظهم قدرًا من أحاديث النبي ﷺ.

• عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلامًا، فكنت أحفظ عنه فما يمنعي من القول إلا هاهنا رجالاً هم أسن مني.

• وتشجيعهم على ذلك.. قال إبراهيم بن أدهم: قال لي أبي: يا بني، اطلب الحديث، فكلما سمعت حديثًا وحفظته فلك درهم، فحفظت الحديث على هذا.

(١) البخاري (١٥٠)، ومسلم (٢٧١).

• وكذلك ينبغي تعليمهم سيرة النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم .

فلقد حرص الصحابة والسلف رضوان الله عليهم على دراسة سيرة النبي ﷺ وتلقينها لأطفالهم، حتى إنهم ليقرئونها مع تعليم القرآن؛ لأنها الترجمان لمعاني القرآن مع ما فيها من إثارة العاطفة ومشاهدة الواقع الإسلامي، ولما لها من تأثير عجيب في النفس ولما تحمل في طياتها معاني الحب والجهاد في إنقاذ البشرية من الضلال إلى الهدى، ومن الباطل إلى الحق، ومن ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام.

فعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضوان الله عليهم قال: كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول: «يا بني، إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها».

وقال زين العابدين بن الحسين بن علي رضوان الله عليهم: «كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السور من القرآن».

### المقتضى التاسع: التخلق بأخلاق النبي ﷺ والتأدب بأدابه:

وهما من لوازم المحبة الصادقة للنبي ﷺ، فإذا كنا نعلم أن الإنسان لا بد له من متبوع يقتدي به وإلا اقتدى بهواه - ولا حول ولا قوة إلا بالله -، وإذا كان للمسلم شأن وللناس شأن آخر، فالمسلم لا يقتدي إلا بالقدوة الصالحة، فنجد أن القرآن قد رفع عنه عناء البحث عن القدوة، فحدد له أسوته وقدوته الصالحة؛ قال - عز وجل - : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الاحزاب: ٢١).

• فالنبي ﷺ أسوة للمؤمنين ومثلاً أعلى في كل شيء، لذا قالت السيدة عائشة رضوان الله عليها في إجابتها لمن سألها: يا أم المؤمنين، أنبئني عن خلق رسول

الله ﷺ؟ قالت: «أنت تقرأ القرآن؟»، قلت: بلى، قالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن».

ألم يكن النبي ﷺ مثلاً أعلى في تحري الصدق وأداء الأمانة حتى سُمي بالصادق الأمين. ألم يكن مثلاً أعلى في التفاني في سبيل الحق؟ أليس هو ﷺ القائل: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

ألم يكن ﷺ مثلاً أعلى في الشجاعة والإقدام.. لقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس أبي طلحة عري<sup>(١)</sup> في عنقه السيف وهو يقول: «ثم تراعوا ثم تراعوا»<sup>(٢)</sup>.

ألم يكن ﷺ مثلاً أعلى في الرحمة؛ عن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»<sup>(٣)</sup>.

ألم يكن ﷺ مثلاً أعلى في الحياة الزوجية كزوج ووالد ورب أسرة وراعي ومسئول، وكأنه ﷺ قد تخصص في هذا الأمر فقط، ولم تشغله أعباء الأمة ومشاكلها.

ألم يكن النبي ﷺ مثلاً أعلى في الحلم، وذلك واضح كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية،

(١) عري: ليس عليه سراج.

(٢) مسلم (٢٣٠٧).

(٣) البخاري (٧٠٧)، ومسلم (٤٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فأدرکه أعرابي فجذبه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبدته، قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء<sup>(١)</sup>.

ألم يكن النبي ﷺ مثلاً أعلى في الحياء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه»<sup>(٢)</sup>.

ألم يكن النبي ﷺ مثلاً أعلى في التواضع؛ عن أنس رضي الله عنه يقول: «ما رايت رجلاً اتقم أذن النبي ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه، وما رايت رجلاً اخذ بيده فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده».

وهكذا كلما بحثت عن خلق كريم وجدت النبي ﷺ قد ضرب فيه المثل الأعلى، وسبحان من قال في حقه: «وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم: ٤)، وكذلك أدابه ﷺ، فقد تأدب بأحسن الآداب ﷺ، فمن لوازم محبته ﷺ أن نتخلق بأخلاقه ونقتدي بأدابه ﷺ.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧).

(٢) متفق عليه: البخاري (٦١١٩)، ومسلم (٢٣٢٠).

## مكارم أخلاق الرسول ﷺ

- ♦♦♦ يا من له الأخلاق ما تهوى العلاء
- ♦♦♦ لو لم تقم دينا لقامت وحدها
- ♦♦♦ زانتك في الخلق العظيم شمائل
- ♦♦♦ وإذا سخوت بلغت بالجود المدى
- ♦♦♦ وإذا عفوت فقادراً ومقدراً
- ♦♦♦ وإذا رحمت فأنت أم أو اب
- ♦♦♦ وإذا غضبت فهي غضبة
- ♦♦♦ وإذا رضيت ففي مرضاته
- ♦♦♦ وإذا خطبت فللمنابرهزة
- ♦♦♦ وإذا قضيت فلا ارتياب كأنما
- ♦♦♦ وإذا أخذت العهد أو أعطيته
- ♦♦♦ بك يا ابن عبد الله قامت سمعة
- ♦♦♦ بنيت على التوحيد وهي حقيقة
- ♦♦♦ الله فوق الخلق فيها وحده
- ♦♦♦ والدين يسر والخلافة بيعة<sup>١</sup>
- ♦♦♦ أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
- ♦♦♦ ظلموا شريعتك التي نلنا بها
- ♦♦♦ صلى عليك الله ما صحب الدجى
- ♦♦♦ منها وما يتعشق الكبراء
- ♦♦♦ دينا يضيء بنوره الأنواء
- ♦♦♦ يُغري بهن ويولع الكرماء
- ♦♦♦ وفعلت ما لم تفعل الأنواء
- ♦♦♦ لا يستهين بعفوك الجهلاء
- ♦♦♦ هذان في الدنيا هم الرحماء
- ♦♦♦ في الحق لا ضغن ولا بغضاء
- ♦♦♦ ورضى الكثير تحلم ورياء
- ♦♦♦ تعبروا الندى وللقلوب بكاء
- ♦♦♦ جاء الخصوم من السماء قضاء
- ♦♦♦ فجميع عهدك ذمة ووفاء
- ♦♦♦ بالحق من ملل الهدى غراء
- ♦♦♦ نادى بها الحكماء والعقلاء
- ♦♦♦ والناس تحت لوائها أكفاء
- ♦♦♦ والأمر شورى والحقوق قضاء
- ♦♦♦ فالكل في حق الحياة سواء
- ♦♦♦ ما لم ينل في رومة الفقهاء
- ♦♦♦ حادٍ وحنّت بالفلا وجناء

من ديوان الشاعر / أحمد شوقي

## ذكر شيء من معجزات النبي ﷺ شعراً

- إليك رسول الله منا تحية ♦♦  
فأنت رسول الله هادٍ ومهتدٍ ♦♦  
وقد قال حسان وفي الشعر شاهد ♦♦  
أغر عليه للنبوة خاتم ♦♦  
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ♦♦  
فقلت شبيهاً بالذي قال إنني ♦♦  
فلا يقبل التوحيد إلا بذكره ♦♦  
وما جاء يدعونا بغير دلالة ♦♦  
ومن ذاك جذع حن شوقاً إلى الرضى ♦♦  
وقد سمعوا صوتاً من الجذع بيناً ♦♦  
ومن ذاك شاة خلوة الضرع مسها ♦♦  
فقام إليها الحائبان فأترا ♦♦  
وسار إلى البيت المقدس ليلة ♦♦  
يخبر بالعبير التي في طريقه ♦♦  
ومن ذاك أخبار عن الغيب قالها ♦♦  
فسؤدده بالله إذ كان وحيه ♦♦  
فأظهر بالإسلام دعوة صادق ♦♦  
تسلم أحجار عليه فصيحة ♦♦  
ويسمع من أصواتها في طريقه ♦♦
- وصلى عليك العابد المتهجذ  
نبي هدى للأنبياء مؤيد  
تجدده الأيام يروي وينشد  
من الله مشهود يلوح ويشهد  
إذ قال في الخمس المؤذن اشهد  
به مؤمناً حقاً لربي موحد  
ليقرنه عند النداء الموحد  
ولكن بآيات تدل وتشهد  
وما زال ساعات يعيل ويسند  
فيا عجباً ممن يشك ويلحد  
فدرت بغزر حافل يتزيد  
أوانيهما والضرع ملآن أبرد  
مسيرة شهر واردة ليس يطرد  
ليوقن أهل الشرك ذاك فيسعدوا  
يعاين فيها الصدق فيها ويوجد  
إليه وهل فوق النبوة سؤدد  
فضل به قوم وقوم به هدوا  
إذا ما خلا في حاجة يتفرد  
تمجده إن النبي مُمجذ

- ♦♦♦ وأنشأ ربي مُزنة فوق رأسه ♦♦♦ رآها بحيرُ الراهب المتعبد  
 ♦♦♦ تظلمه من كل حريصيبه ♦♦♦ تقويم عليه ما أقام فيركد  
 ♦♦♦ وإن سار سارت لا تفارق رأسه ♦♦♦ فقال لهم هذا النبي محمد  
 ♦♦♦ حلیم رحيم لين متواضع ♦♦♦ سخي حبيي عابد متزهّد

اللهم يا حي يا قيوم، إنا نسألك بأسمائك الحسنی وصفاتك العلی أن تعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار، يا عزيز يا غفار، يا كريم يا منان، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل والسر والعلن.  
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلي اللهم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أخوكم

(أبو عمر)

أشرف أصحابنا وأفضلهم

غفر الله له ولوالديه ولسانر المسلمين